

أضواء البيان

@ 265 ما تضمنته هذه الآية الكريمة من إنكار البعث ، وتكذيب اللّٰه لهم في ذلك ، قدم موضّحاً في مواضع كثيرة من هذا الكتاب في (البقرة) و (النحل) وغيرهما . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { إِذَا مَرُّوا مَرْجَاتُهُمْ كُلَّ مَرَّاتٍ } ، أي :
تمرّوا أجسادكم وتفرّقت وبلّيت عظامكم ، واختلطت بالأرض ، وتلاشت فيها . وقوله عنهم : {
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } ، أي : البعث بعد الموت ، وهو مصب إنكارهم قبّحهم
اللّٰه ، وهو جلّّ وعلا يعلم ما تلاشى في الأرض من أجسادهم وعظامهم ؛ كما قال تعالى : {
قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ } . {
أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ } . ما دلّّت عليه هذه الآية الكريمة من توبيخ الكفار ، وتقريعهم على عدم
تفكّرهم ونظرهم إلى ما بين أيديهم ، وما خلفهم من السماء والأرض ، ليستدلّوا بذلك على
كمال قدرة اللّٰه على البعث ، وعلى كل شيء ، وأنه هو المعبود وحده ، جاء موضّحاً في
مواضع أخر ؛ كقوله تعالى : { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَّا السَّمَاءَ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
يَنْزِلُ السَّمَاءَ وَزَيَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَاهَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَاهَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّذْنِبٍ } ، وقوله تعالى : { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا
فِي مَلَائِكَتِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى
أَنْ يَكُونُ قَدَرٌ أَفْتَرَبَ أَجْلَهُمْ } ، وقوله تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } ، والآيات
بمثل ذلك كثيرة معروفة . . .

وقال ابن كثير رحمه اللّٰه في تفسير هذه الآية : قال عبد بن حميد ، أخبرنا عبد الرزاق
، عن معمر عن قتادة : { أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، قال : إنك إن نظرت عن يمينك ، أو عن شمالك ،
أو من بين يديك ، أو من خلفك ، رأيت السماء والأرض . { إِنْ زَشَّأَ نَاخِسِفٌ بِهِمْ
الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَافاً مِّنَ السَّمَاءِ } . ذكر جلّّ وعلا في هذه
الآية الكريمة أمرين : .

أحدهما : أنه إن شاء خسف الأرض بالكفار ، خسفها بهم لقدرته على ذلك .